سينما

«يهوذا والمسيح الأسود»

الخيانة متساوية سينمائياً

في استعاد ته وقائع حقيقية جرت فصولها في ستينيات القرن العشرين، في شيكاغو، يطرح شاكا كينغ أسئلة الخيانة والعنصرية والصداقة والسياسة

عبد الكريم قادري

لم يكتفِ المخرج شاكا كينغ، في بداية فيلمه «يهوذا والمسيح الأسود» (2021)، بعبارة «مستوحى من قصّة حقيقية»، ليعرض على المُشاهد مادة تاريخية حقيقية، يُثير بها انتباهه؛ بل ذهب أكثر من ذلك: أعاد تمثيل مشهد المُقابلة التلفزيونية الشهيرة، التي نقلت اعترافات ويليام أونيل، مخبر «أف بي آي» (مكتب التحقيقات الفيدرالية) المتسلّل إلى «حزب الفهود السود»، وفيها طرح عليه مذيع برنامج «عيون على الجائزة»، في النصف الثاني من عام 1989، سؤالاً مُهمّاً عن رأي أبنائه عندما يعلمون بحقيقته. لكنّ كينغ لم ينتظر الإجابة، فقطع المشهد، وذهب مباشرةً إلى سرد وقائع فيلمه، طارحاً على الجمهور التصوّر الشامل لعمله، وكاشفاً طريقة مُعالجته من دون أن يلجأ إلى تقنية «خلق» المقلب الدرامي. هذا يحصل بدءاً من العنوان: «يهوذا والمسيح الأسود»، الذي يحيل مباشرةً إلى مُنطلق الخيانة الحاصلة بين يهوذا الأسخريوطي والمسيح، بعد أنْ «باعه» إلى أعدائه وجلّاديه مقابل «حفنة من الذهب»، من دون مراعاة ما كان بينهما من ودّ. هذا حدث حرفياً بين الشخصية الرئيسية، فْرد هامبتون (دانيال كولُوَا)، والواشي وليام أونيل (لاكيث ستانفِلْد)، الذي باع صديقه ورفيقه في الحزب من أجل بضعة دولارات وامتيازات معينة. ثم محاكاة المقابلة الشهيرة لهذا المخبر، كأنّ كينغ قدَّم معظم أوراقه في عملية البناء السردي وطريقة المعالجة في الدقائق العشر الأولى. لكنّه كان أذكى من ذلك، لامتلاكه أوراقاً أقوى وأهمّ من تلك العناصر الكلاسيكية، التي تحيط عادةً شخصية الواشي أو المخبر بهالةٍ من الغموض، لصنع الإثارة، وشدّ الجمهور حتى نهاية الفيلم، أو الاعتماد على السرد العكسي والـ«فلاش باك»، الذي يعود تدريجياً بالأحداث إلى الماضي، ثم ينتهي الفيلم بالحاضر، وحلّ العقدة بانتصار البطل، والقضاء على الشرير. شاكا كينغ رسم خطّاً مُستقيماً في عملية سرده، مُقدّماً المعطيات وفقاً لسياقها التاريخي، ومنطلقها الجمالي، اللذين أثّثهما بديكور ستينيات القرن الـ20 وسبعينياته، سيارات ذات ألوان مُختلفة، وإضاءة متنوّعة على مداخل الحانات، وطاولات الـ«بيلياردو»، وطريقة اللباس التي راعى فيها كلّ جهة، وكلّ ثقافة.

لم يعتمد شاكا كينغ على ممثلين نجوم، يمنحون العمل زخماً إعلامياً، كدنزل واشنطن وجيمي فوكس وويل سميث وفورِسْت ويتايكر، وغيرهم من الممثلين السود من الصف الأول. اكتفى بممثلين عاديين، سَيّرهم كما ينبغي، وأعطاهم سلوكيات الشخصيات الحقيقية، فكشف انفعالات فْرد هامبتون وخطاباته الحماسية والعاطفية، وأثار إحساساً بتلاعب ويليام أونيل، وصراعه مع ضميره، وتأثّره بهامبتون، وميله الكبير إليه. لكنّ أساليب «المكتب الفيدرالي للتحقيقات» .التي أمسكته من اليد التي تؤلمه، وكانت أكثر فاعلية وخبثاً منه . تعاملت مع الموقف، وسيطرت عليه من الجوانب كلّها. كما كان للشرطيّ الأبيض، روي ميتشل (جيسّي بلامنس)، دورٌ حيوي في شخصية من يؤدّي عمله كما ينبغي، لأنّه كان يرى أنّ لـ«الفهود السود» والمنظمة العنصرية البيضاء «كو كلوكس كلان» منطلقاً وهمجية واحدة. ومع الضغوط المستمرة لرؤسائه، أصبح هو الآخر عنصرياً، في تصرّفه على الأقلّ.

لاكيث ستانفِلْد: الوشاية خيانةٌ (Getty)

تقديم معطيات وفقاً لسياقها التاريخي ومنطلقها الجمالي

أظهر «يهوذا والمسيح الأسود» صفحةً أخرى من كتاب العنصرية، التي لطّخت تاريخ أميركا، بإعادة إحياء عملية التصفيات الخارجة عن القانون، التي كانت تقوم بها الأجهزة الأمنية الأميركية خارج نطاق العدالة، وبمباركة صنّاع القرار، وتحرّشها الدائم بمشاريع السود، خاصة تلك التي تهدف إلى توحيد الجماعات والتنظيمات على نهج واحد. هذا فعلته مع مكتب «الفهود السود» في منطقة إلينوي في شيكاغو، الذي يقوده فْرد هامبتون، الساعي إلى توحيد التكتلات كلّها لرجال عصابات السود، والمنظّمات الدينية، والملوّنين المُضطهدين، وصولاً إلى الفقراء البيض، الذين يعيشون على هامش المدن.

استطاع هامبتون أنْ يُقنع كثيرين من هؤلاء، ودخل في مشاريع تأسيس عيادات طبيّة ومدارس ومطاعم مجانية، انطلاقاً من فكره الشيوعي، الذي يسعى إلى هدم الرأسمالية المتوحّشة، التي كان يرى أنّ زوالها سبيلٌ وحيد إلى القضاء على العنصرية. لذا، وجدوا فيه خطراً كبيراً، وجهدوا في تقويض مشروعه، والقضاء عليه، بتصفيته جسدياً، هو ومن كان معه. حينها، نصحته جماعته بالهروب إلى كوبا، أو السفر إلى الجزائر والعيش فيها، كما فعل إلردج كليفر وأعضاء آخرين، عند شعورهم بتهديدٍ حقيقي من الشرطة.

استطاع شاكا كينغ أنْ ينقل، في فيلمه الدرامي التاريخي، شعور القهر والظلم والتهميش، الذي يحسّ به الفرد الأسود، في مواجهة عنصرية الرجل الأبيض، مالك القوّة والسلطة. سردية الوجع والألم نقلها كينغ عبر أداء الممثلين، الذين عاشوا القصّة كأنّها أحداثها تحصل في اللحظة التي يُمثّلون فيها، إلى درجة أنّ المُشاهد بات جزءاً من عملية التقبّل القصصي، يبحث عن الحلول مع الشخصيات الذين حاصرتهم بنادق الحقد من كلّ زاوية.

النص الكامل
على الموقع الألكتروني

عن «عائلةٍ» لا تُشبه غيرها

نديم جرجوره

النزاعات الحاصلة في كواليس صناعة السينما لن تُغيِّب عناوين عامّة، تُصبح مشتركاً بين أكثر من فيلمٍ. بمناسبة إطلاق عرضٍ دولي للحلقة الـ9 من سلسلة «سريع وغاضب» (2021) لجاستن لين، في الدورة الـ74 (6 . 17 يوليو/ تموز 2021) لمهرجان «كانّ» السينمائي («العربي الجديد»، 9 يوليو/ تموز 2021)، يُستعاد مفهوم العائلة في عصابةٍ، تحترف السرعة في قيادة السيارات، وتُشارك في سباقاتٍ غير شرعية، وتتورّط في أعمال تهريب ومطاردات، وتتعاون مع محقّقين ورجال أمن واستخبارات، وتجوب بلداناً ودروباً، تُحوّل بعضها إلى حلبة سباقٍ يبدو غير منتهٍ.

العصب العائليّ أساسيّ فيها. هذا يحضر، وإنْ بشكلين مختلفين، في سلسلتي «روكي» و«المستهلَكون» (The Expendables)، لسيلفستر ستالون، تفكيراً وكتابة وإخراجاً وتمثيلاً وإنتاجاً، وهذه وظائف يشتغلها في هذا الفيلم أو ذاك من أفلامهما. في السلسلة الأولى، يُبدي ستالون شغفاً كبيراً بتأسيس عائلةٍ، مع أصدقاء ثم زوجة وابنٍ، يؤدّي دوره الابن الحقيقيّ لستالون، سايج، الذي يُتوفى باكراً (1976 . 2012) لإصابته بتصلّب في الشرايين التاجية. في السلسلة الثانية، يجمع أكبر عددٍ ممكن من زملاء المهنة، ذوي العضلات المفتولة، والأدوار المشوّقة، والمطاردات الكثيرة، وبعضهم يمارس فنوناً قتالية، والسلاح بين أيديهم وافرٌ، والقتلى بمئات الآلاف، والقضايا الإنسانية ترتكز على إنقاذ الضعفاء والضحايا من براثن وحوش فتّاكة، ترتدي زيّاً بشرياً. معهم، يحاول أنّ يصنع عائلةً مكوّنة من زملاء مهنة وأصدقاء.

ملاكم يمتلك قلباً طيباً ويزداد نضجاً وهدوءاً مع مرور الزمن

هناك ميلٌ أكبر وأعمق وأجمل إلى «روكي» من «رامبو»، لستالون نفسه. الملاكم يمتلك قلباً طيباً، ومع مسار الحلقات، يزداد نضجاً وهدوءاً، باحثاً عن سكينةٍ داخلية، أولاً بعد وفاة مدرّبه وصديقه الحميم ميكي (بورغس ميريديث)، ثم زوجته أدريان (تاليا شير)، ولاحقاً ابنه في السلسلة والحياة. يكترث بابن منافسه ثم صديقه أبولو كريد (كارل واثرز)، أدونيس جونسن كريد (مايكل بي. جوردان)، كأنّه ابن له. لقطات عدّة (أبرزها جلوسه أمام قبر أدريان، للتحدّث معها، أو للتعبير عن شوقه إليها) تعكس ما فيه من إحساس بضيقٍ ورغبةٍ في خلاصٍ من عالم، يمنحه شهرةً وحضوراً شعبيين، ويُصبح ثقيلاً عليه مع التقدّم في العمر.

هذا غير حاصل في «رامبو». الجندي، الأقوى من جيشٍ بكامله، ينتصر على أعدائه، قبل انسحابه من أميركا إلى بلادٍ بعيدة. نظرته يُراد لها أنْ تمتلئ حبّاً وعاطفة، لكن وحش القتل والعنف أقوى وأكثر سطوة. رامبو يُشبه بارني راس (ستالون)، بطل أبطال «المستهلَكون». ملاحقة أشرار العالم تحجب ادّعاءً بالتزام أخلاقيّ إزاء أخياره. البطش والديكتاتوريات وتجارة المخدرات والقتل والتسلّط على الناس أقوى من كلّ حسٍّ إنسانيّ، تتصنّع سلسلتي «رامبو» و«المستهلَكون» في ابتكاره لمواجهة خرابٍ وتسلّط.

سيلفستر ستالون: نظرة أصدق من كلّ عنفٍ وتشويق (دانيال زا تشنِك/ واير إيماج)

النص الكامل
على الموقع الألكتروني

أقوالهم

كم أحبّ هذين الفيلمين Replicant وIn Hell (للمخرج رينغو لام، 2001 و2003). ربما لم أفعل شيئاً أكثر أهمية منهما. مخرج كبير له قدرات رائعة ويتحمّل مسؤولية كبيرة. في حياتي كلّها، وهذا يُشبه سيرة ستالون أيضاً ولو قليلاً، «أعطوني» مخرجين غير باهرين، غالباً. في الوقت نفسه، أشخاصٌ مثل شوارزينيغر كانوا رفاقاً لجيمس كاميرون مثلاً.

جان ـ كلود فاندام

رحلتي الأولى؟ كنتُ في الخامسة من عمري، عندما ذهبتُ إلى فلوريدا. صغيرةً، كنتُ أخاف من كلّ من يرتدي زيّاً يعود تصميمه إلى أزمنة قديمة. إذاً، ذكرياتي الأولى عن «ديزني لاند» ليست سعيدة أبداً. أتذكّر أنّي كنتُ أنظر أمامي من دون أنْ أرى شيئاً بوضوح، بسبب الدموع المنهمرة من عينيّ.

إميلي بلانت

أفعالهم

Delo لألكسي غيرمان، تمثيل **سْفتلانا خودتشينكوفا** (الصورة): يستخدم أستاذ جامعي وسائل التواصل الاجتماعي لانتقاد إدارة مدينته. لكنْ، بدلاً من التحقيق في أعمال فساد، يُتّهم الأستاذ نفسه بالاختلاس، ويوضع في الإقامة الجبرية. رغم المراقبة وازدواجية المعارف، يرفض الأستاذ أنْ يعتذر، ويُصرّ على التحدّي. موعد المحاكمة يقترب، فهل سيكون لديه أمل في الفوز؟

Bonne Mere **لحفظية حرزي** (الصورة): نورا (55 عاماً) مدبّرة منزل، تهتم بعائلتها التي تُقيم معها في حيّ في شمال مارسيليا. لها ابن عاطل عن العمل منذ فترة طويلة، لكنّه يتورّط في سرقة محطة للوقود، ويُلقى القبض عليه، ويوضع في السجن، بانتظار بدء محاكمته، فتجهد نورا في تخفيف القلق عنه، مانحة إياه بعض الأمل.

أخبار

◆ بالتعاون مع «دار النمر»، يُنظّم «نادي لكلّ الناس» (بيروت) عرضاً لـ«عصفوري» (2012، 89 دقيقة)، الفيلم الروائي الطويل الأول للمخرج اللبناني فؤاد عليوان، يومي 13 و14 يوليو/ تموز 2021 (السادسة مساء)، في صالة المسرح التابعة للدار، مع الالتزام بشروط السلامة الصحّية العامّة، المعمول بها في لبنان (والعالم) بسبب تفشّي وباء كورونا.
قرّر سكان مبنى قديم الطراز في قلب بيروت ترميمه بعد انتهاء الحرب الأهلية اللبنانية (1975 . 1990)، مطلع تسعينيات القرن الـ20، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا وتحاربوا في ما بينهم، إذْ أراد البعض ترميمه، بينما طالب البعض الآخر بهدمه. عاش المبنى إشكالية بقائه أو زواله، توازياً مع الإشكالية المعقّدة للوطن (لبنان)، وفصول قدره الملعون، كالقدر الشائك للمبنى نفسه.

◆ يُتوقع أن يكون «حرب الغد» (The Tomorrow War)، للأميركي كريس ماك كاي، أحد أبرز أفلام صيف 2021، لموازنته الكبيرة (200 مليون دولار أميركي)، ولنوعه المُحبَّب لدى كثيرين (الخيال العلمي) ولمشاركة كريس برات فيه. لكنّ الفيلم، بحسب تقرير لوكالة «فرانس برس»، لنْ ينافس على شبّاك التذاكر، إذْ بيع لمنصّة «برايم فيديو»، التابعة لشركة «أمازون»، التي تعرضه على شاشتها منذ 2 يوليو/ تموز 2021، «ما يجعله أحد أكبر الأفلام إطلاقاً، التي تُعرض كاملةً خارج الصالات السينمائية». ونقل التقرير عن ماكاي قوله إلى الجمهور: «أرجوكم. لا تشاهدوه على هواتفكم، بل على أكبر شاشة ممكنة. ارفعوا الصوت قدر الإمكان. اطلبوا من جيرانكم ألا ينزعجوا من رفعكم الصوت. شاهدوه مع أناسٍ كثيرين، لأنّكم ستمضون وقتاً مُمتعاً».
يبدأ الفيلم بوصول مسافرين عبر الزمن، من مستقبلٍ قريب، تواجه فيه البشرية خطر الإبادة، بسبب غزو مُرعب لكائناتٍ فضائية. يتوسّل المسافرون آباءهم وأجدادهم السفر معهم إلى المستقبل (3 عقودٍ)، لمساعدتهم في صدّ جحافل «المسامير البيضاء» الغازية. بهذا، يجمع الفيلم مَشاهد حركة حافلة بالمؤثرات المُصوّرة في مواقع عدّة، بينها أيسلندا، وأجواء الرعب والدراما العائلية وموضوعي البيئة والتغيير المناخي. وصُوِّر الجزء الأكبر من المَشاهد قبل تفشي وباء كورونا، لكنّ إنجاز المراحل التالية، وعمليات التوليف، جرى مِن بُعد، كما قال المخرج.